



Representations of Cultural Patterns in the Libyan Novel

Khadija Al-Mabrouk Mansour Ibrahim *

Faculty of Education- Nasr, University of Zawia, Libya

تمثيلات الأنساق الثقافية في الرواية الليبية

خديجة المبروك منصور إبراهيم *
كلية التربية ناصر، جامعة الزاوية، ليبيا

*Corresponding author: k.abraheem@zu.edu.ly

Received: May 24, 2026

Accepted: June 10, 2026

Published: July 12, 2026

Abstract:

This research examines "Representations of Cultural Patterns in the Libyan Novel," starting from the premise that the novel is a mirror reflecting profound social and political transformations, and is capable of absorbing and deconstructing dominant and implicit patterns. The study seeks to answer several questions about the nature of cultural patterns governing the structure of the Libyan novel, how the relationship between these patterns and the psychological and aesthetic structure of the text's manifests, and the extent of their ability to reflect the human struggle with authority and society as well as deconstruct the patriarchal pattern. To achieve these objectives, the research adopted the descriptive analytical method as a general framework, utilizing psychological, cultural, and aesthetic approaches. The study concluded that the Libyan novel succeeded in blending cultural depth with psychological richness and artistic aesthetics, and that cultural patterns infiltrate through oblique narrative techniques such as description, free association, and flashback rather than directly. The research also emphasized the pivotal role of the unconscious in producing narrative images as an outlet for existential crises.

Keywords: Libyan novel, Cultural patterns, Narrative analysis, Authority, Desert.

المخلص

يدرس هذا البحث "تمثيلات الأنساق الثقافية في الرواية الليبية"، وينطلق من كون الرواية مرآة تعكس التحولات الاجتماعية والسياسية العميقة، وقادرة على استيعاب وتفكيك الأنساق المهيمنة والمضمرة. يسعى البحث إلى الإجابة عن عدة تساؤلات حول طبيعة الأنساق الثقافية التي تحكم بنية الرواية الليبية، وكيفية تجلي العلاقة بين هذه الأنساق والبنية النفسية والجمالية للنصوص، ومدى قدرتها على عكس صراع الإنسان مع السلطة والمجتمع وتفكيك النسق الذكوري. ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي كإطار عام، مع الاستعانة بالمقاربات النفسية والثقافية والجمالية، خلص البحث إلى أن الرواية الليبية نجحت في المزاجية بين العمق الثقافي والثراء النفسي والجمال الفني، وأن الأنساق الثقافية تتسلل عبر تقنيات سردية مواربة كالوصف والتداعي والاسترجاع وليس بشكل مباشر. كما أكد البحث على الدور المحوري للشعور في إنتاج الصور السردية كمتنفس للأزمات الوجودية.

مقدمة

تنبؤاً الرواية مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الحديثة، من حيث الكثرة والازدهار والانتشار، حيث أصبحت أصقل مرآة يرى فيها المجتمع نفسه لأنها لازمت ظروف هذا العصر، وأفلحت في تصوير المجتمع، إن الرواية يبدو فيها الآخر واضحاً بصورة لا تتوفر في غيرها، فهي في طليعة الفنون الغيرية إذا جاز التعبير، ذلك أن الشعر في أغلبه ذاتي يصور الفردية ويعبر عن لواعج النفس ومواجيدها، ولهذا كان الشعر الخالد هو الشعر الذاتي الصادق النابع من التجربة الشخصية، وللسبب نفسه كان محوراً لا يهتم تصوير المجتمع بقدر ما يهتم تصوير الفرد، أما الرواية وبسبب طبيعتها الفنية، فإنها تستوعب المجتمع بأسره، وتتساوى قدرتها في تصوير "الأنا" مع مقدرتها على تصوير "الآخر".

والسرد وسيلة بناء لا غير، تتعدد أنماطه ومظاهره بتعدد الرؤى التي ترشح عنه، وهكذا تبرز ضرورة الوقوف عند الرؤية بوصفها وجهة النظر التي تقدم إلى المتلقي عالماً فنياً تقوم بتكوينه أو نقله عن رؤية أخرى، وهذا يفرض التوقف عند الراوي الذي تنبثق منه هذه الرؤية. فالسرد ليس إلا طريقة الراوي في الحكى، أي في تقديم الحكاية، وتتعدد هويته تبعاً لطبيعة الراوي أو موقعه، بغض النظر عن السردية والمسروود له.

أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى استكشاف البنية العميقة للرواية الليبية من خلال تحليل الأنساق الثقافية الكامنة فيها، والكشف عن علاقتها بالبعدين النفسي والجمالي للإبداع. كما يكتسب البحث أهميته من تركيزه على الرواية بوصفها جنساً أدبياً قادراً على استيعاب مختلف الحقول المعرفية، وتمثيل التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمع الليبي.

ويسهم هذا البحث في إبراز دور الرواية الليبية في تفكيك الأنساق المهيمنة، ولا سيما النسق الذكوري والاجتماعي والسياسي، إلى جانب الكشف عن آليات اشتغال اللاشعور في تشكيل الخطاب السردى، مما يمنح العمل الروائي بعداً إنسانياً وجمالياً عميقاً.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية الليبية، وتحليل البعد النفسي واللاشعوري في تشكيل الخطاب السردى، إلى جانب إبراز جمالية السرد وتقنياته الفنية، وتوضيح العلاقة بين الإبداع الأدبي والسياق الثقافي والاجتماعي، فضلاً عن دراسة تمثيلات المرأة والسلطة داخل النصوص الروائية، بما يسهم في تقديم قراءة نقدية معمقة تعزز من فهم الرواية الليبية في ضوء المناهج الحديثة.

أسباب اختيار الموضوع

- الرغبة في دراسة الرواية الليبية من زاوية نقدية حديثة (الأنساق الثقافية).
- قلة الدراسات التي تجمع بين البعد الثقافي والنفسي والجمالي في الرواية الليبية.
- إبراز دور الرواية في تمثيل قضايا المجتمع، خاصة قضايا المرأة والسلطة.
- الاهتمام بالكشف عن البنية العميقة للنصوص الروائية، وليس الاكتفاء بالتحليل السطحي.

تساؤلات البحث

- يسعى البحث للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، من أبرزها:
- ما طبيعة الأنساق الثقافية التي تحكم بنية الرواية الليبية؟
- كيف تتجلى العلاقة بين الأنساق الثقافية والبنية النفسية في النص الروائي؟
- إلى أي مدى استطاعت الرواية الليبية تفكيك الأنساق المهيمنة، خاصة النسق الذكوري؟
- كيف تعكس الرواية الليبية صراع الإنسان مع السلطة والمجتمع؟

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي بوصفه الإطار العام لدراسة النصوص الروائية، حيث يتم تحليلها قراءة نقدية تكشف عن الأنساق الثقافية الكامنة فيها، مع الاستعانة بالمنهج النفسي في الكشف عن البعد اللاشعوري والتجربة الداخلية للشخصيات، إلى جانب المنهج الثقافي الذي يسعى إلى تفكيك الأنساق المضمرّة، مثل النسق الذكوري والاجتماعي والسياسي، فضلاً عن توظيف المنهج الجمالي لدراسة تقنيات السرد والوصف والبناء الفني، وذلك من خلال تطبيق هذه المقاربات على نماذج مختارة من الرواية الليبية.

التمهيد:

تُعَدّ الرواية الليبية من الأجناس الأدبية التي تطورت ببطء مقارنة ببعض الآداب العربية الأخرى، إلا أنها شهدت خلال العقود الأخيرة حراكاً ملحوظاً من حيث الموضوعات والرؤى والأساليب الفنية. وقد خضعت الرواية الليبية عبر مسارها الزمني لتأثيرات متعددة فرضتها التحولات السياسية والاجتماعية والتاريخية، إضافة إلى الخصوصية المكانية التي ميّزت المجتمع الليبي، مما جعل سؤال الرواية الليبية سؤالاً مركزياً ومتشعباً لا يمكن اختزاله في محور واحد.⁽¹⁾

إن الرواية بوصفها وعياً اجتماعياً وثقافياً تعكس التحولات والتغيرات التي يمرّ بها الواقع السياسي وتأثيرها في حياة الناس الاجتماعية والثقافية. وباعتبارها معرفة جمالية، لا تُجيب الرواية عن الأسئلة الاجتماعية مباشرة، بل تثيرها وتعمّق الإحساس بتلك الأسئلة الملحة.

إن من أسباب وجود الرواية هو "اكتشاف ما تستطيع الرواية وحدها اكتشافه"⁽²⁾. تسعى الرواية إلى كشف الفجوات في الواقع الاجتماعي وإبراز المجهول في ظلام ذلك الواقع؛ فهي تبقى حاضرة ما دام العالم ناقصاً وغير كامل، ويحتاج إلى نظر الأدب والفن لكشف عتمته. بناءً على ذلك، تُعدّ الرواية مدونة للفعل الاجتماعي الذي يعجز التاريخ عن كشفه؛ فهي ذاكرة ثانية تحاكي تحولات الإنسان وتثبت موقفه السياسي والاجتماعي والقيمي من الحياة المتغيرة.³

يُعدّ الزمن التاريخي من أهم الأسئلة التي اشتغلت عليها الرواية الليبية، حيث انشغل كثير من الروائيين بتوثيق فترات مفصلية في تاريخ ليبيا، مثل مرحلة الاستعمار الإيطالي، وما خلّفته من جراح نفسية واجتماعية، ثم مرحلة ما بعد الاستقلال، وصولاً إلى التحولات السياسية المعاصرة.⁽⁴⁾

إن الرواية الليبية لم تكن مجرد ممارسة سردية جمالية، بل مثّلت وعياً نقدياً عميقاً بالتحولات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الليبي. فقد انشغلت بأسئلة جوهرية تتعلق بالزمن والتاريخ، والسلطة، والهوية، والمكان، والمرأة، بوصفها قضايا مركزية أسهمت في تشكيل خطابها الفني ورؤيتها للعالم. ولم تتعامل الرواية الليبية مع هذه الأسئلة بوصفها معطيات جاهزة، بل أعادت مساءلتها وتفكيكها، كاشفة عن المسكوت عنه، ومقترحة رؤى بديلة للسرد الرسمي والتاريخ المهيمن.

ومن ضمن الموضوعات التي خاضت فيها الرواية الليبية السلطة، خلال الثمانينيات بصفة خاصة؛ فقد شكلت السلطة الهاجس الرئيس لعدد من الروائيين؛ أبرزهم **صادق النيهوم**⁽⁵⁾ وقد صورت الرواية ذات التوجه السياسي المثقف باعتباره صوتاً معارضاً للاستبداد وحاملاً هموم الناس ومفكراً نيابة عن الناس لكنه عادة ما يمتن بالخيالات ويتهم بانفصاله عن واقعه، وغياب التواصل بينه وبين الآخرين.

ورواية (الحيوانات) تتبنى على المراوحة بين الواقع والرمز، وتتخذ الحيوان المدخل الذي يستخدمه الكاتب حيلة معرفية وجمالية، يعبر من خلالها عن مظاهر تهافت الواقع السياسي والاجتماعي في وطنه

¹ عبد القادر بوهروس، الرواية الليبية: النشأة والتطور، دار الفرجاني، طرابلس ص133.

² ميلان كونديرا، (1999)، فن الرواية، تر: أمل منصور، المؤسسة العربية للنشر-بيروت، ط1: 15.

³ سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ط3، الناشر: المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء- المغرب: ص140.

⁴ أحمد الفيتوري، المكان في الرواية الليبية، مجلة الفصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ص22.

⁵ - كاتب وأديب وفيلسوف ليبي، ولد في مدينة بنغازي لأب بحار يعيش مسافراً أكثر مما يعيش مستقراً، وأم مريضة توفيت لاحقاً، وهو لم يزل ابن شهرين، مما جعل والده يعتمد في تغذية الرضيع على حليب نعجة. كتب في مجلات النقد الأدبي والمقالة الأدبية والقصة القصيرة والروايات ومقارنة الأديان والفكر، يجيد إلى جانب اللغة العربية، الألمانية والفنلندية والإنجليزية والفرنسية والعبرية والآرامية. ينظر: كامل سلمان الجبوري. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م. بيروت: دار الكتب العلمية. 2003، 170/3.

ليبيا. (6) فقد استعار أسلوباً تراثياً، وهو أسلوب الحكاية المثلّية (7) لكتابة رواياته، فهو يقسم الحيوانات إلى أدوار مختلفة، بعضها يقوم بدور السلطة السياسية بمختلف تفرعاتها، وبعضها يقوم بدور الشعب بـكل فئاته المثقفة وغير المثقفة ويوزع الكاتب الأدوار على الحيوانات للقيام بالوظائف السياسية. وكل حيوان يرمز لما عُرف به، فالأسد رمز السلطة العليا فهو القائد الملهم والمطاع، والذئب رمز الخبث والدهاء والحمار رمز الغباء والكلب رمز للتبعية والخضوع.

وانطلاقاً مما سبق، يتضح أن الرواية الليبية لم تكن مجرد نص سردي يهدف إلى الترفيه أو الحكى الفني فحسب، بل تحولت إلى فضاء ثقافي معقد تتداخل فيه البنى الاجتماعية والتاريخية والسياسية، لتنتج خطاباً يعكس عمق التحولات التي شهدتها المجتمع الليبي. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية مقارنة الرواية الليبية من منظور الأنساق الثقافية بوصفها آلية لفهم كيفية تشكل المعنى داخل النص الروائي، وكشف العلاقات الخفية بين النص والواقع، وبين الخطاب الأدبي والبنية الثقافية التي ينتمي إليها. ومن ثم، يسعى هذا البحث إلى رصد تمثّلات هذه الأنساق الثقافية داخل الرواية الليبية، والكشف عن آليات اشتغالها ودلالاتها الفكرية والجمالية.

المبحث الأول: ازدواجية المسار السردى بين الاجتماعي والسياسي

يُعدّ تحليل البنية السردية في الرواية الليبية مدخلاً أساسياً لفهم الأبعاد الفكرية والاجتماعية الكامنة داخل النص الروائي، إذ لا تتفصل التقنيات السردية عن الدلالات الثقافية التي يحملها الخطاب الأدبي. وفي هذا السياق، تبرز ازدواجية المسار السردى بوصفها إحدى السمات الفنية التي تعكس تداخل البعد الاجتماعي بالبعد السياسي داخل العمل الروائي، حيث تتجاوز الأصوات وتتنوع الرؤى بما يكشف عن اختلافات طبقية وأيديولوجية داخل المجتمع المتخيل.

من الروايات الليبية التي تتعدد فيها الأصوات خالقة حالة من التنوع الطبقي والأيديولوجي، رواية (الطاحونة) للروائي سالم الهنداوي، ينطلق الهنداوي في روايته هذه من الرؤية السوسيونصية التي من خلالها يمكن تعيين الأساليب الحوارية والمستويات الصوتية، وبالتالي بيان دلالتها على المستوى الفكري والانتماء الطبقي لكل شخصية من شخصيات (الطاحونة) وانطلاقاً من مقارنة المستوى الصوتي " تحدد سوسولوجيا الرواية حسب رؤية جولدمان العلاقة بين البناء الفكري داخل النص، أي نسقه الداخلي، وبين النظام الاجتماعي الذي أنتج في إطاره النص، أي النسق الخارجي) ⁸

تُعدّ الرواية فضاءً تخييلياً اجتماعياً موازياً للواقع المعيش، تزخر داخله التناقضات الناتجة عن الاختلافات الأيديولوجية والطبقية، حيث يعتمد الكاتب إلى إسقاط هذه التباينات على شخصه، مُحمّلاً إياها تمثّلات فكرية واجتماعية متعددة، غالباً ما تكون في حالة صراع مستمر. وعادةً ما يتكئ العالم الروائي على مؤشرات زمنية ومكانية واضحة، من خلال الإحالة إلى حقبة تاريخية محددة أو إلى أمكنة حقيقية، بهدف تعزيز الإيهام بواقعية الأحداث وترسيخ صلتها بالواقع.

غير أن كاتب رواية الطاحونة ينهج مساراً مغايراً، إذ يبني عالماً روائياً قائماً بذاته، منفصلاً عن الإشارات الزمنية والمكانية المباشرة، فلا يقدم معالم واضحة يمكن من خلالها تحديد المجتمع المرجعي أو حتى التخمين به بدقة. ومع ذلك، تبرز بعض الإشارات الزمنية المحدودة والمضطربة في دلالتها، والتي يمكن أن تُحيل – على نحو غير مباشر – إلى مرحلة اكتشاف النفط، وهي فترة تاريخية يمكن تأطيرها تقريباً بنهاية خمسينيات القرن العشرين وبداية ستينياته.

ولم تمض أيام على رحيل جيش الاحتلال، حتى اكتشف أهل القرية أن تلك الآلات ذات الأعناق الطويلة التي كانت تحفر في الأرض، لم تكن تبحث عن الماء في القرية، إنما كانت للتنقيب على البترول... وظل

6 - ينظر بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر، ط(1)، 1999، ص 471

7 - ينظر مراد بن عياد. مسائل تأصيلية في الأدب العربي القديم: دراسات في وسائط البيان والتواصل. تقديم محيي الدين حمدي. مكتبة علاء الدين. صفاقس. ط1. 2018. ص 70

8 حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي: ط1، الناشر / المركز الثقافي العربي، بيروت: ص 166.

أهل القرية منذ ذلك العهد على أمل أن تنتظر الحكومة في حالهم، حتى ولو لم يظهر في القرية نبع ماء أو نبع بترول⁹.

كما أن فضاء الرواية الذي وقعت فيه كل الأحداث أحياناً برسمه الراوي على أساس أنه قرية تقع في بقعة ما من الصحراء وأحياناً أخرى يخبرنا بأنها قرية تقع على شاطئ البحر، فأصبحت هذه القرية منبثة عن بعديها الزماني والمكاني، فهي عبر أحداثها وشخص وشخصها تحاول أن تبني لنا عالماً حكايا لا يمكن نسبته لأية حقبة زمنية، أو لأية بقعة مكانية.

تتناول رواية الطاحونة زمناً سردياً واسعاً على مستوى الخطاب الروائي، حيث يعتمد الكاتب على تقنيتي الإبطاء الزمني، خاصة من خلال المشاهد الحوارية والوقفات الوصفية. وتُسهّم الحوارات في إبراز تعدد الأصوات وتباين وجهات النظر، كما تكشف عن الأبعاد النفسية والفكرية للشخصيات.

وتُعد الرواية مغامرة نصية متميزة في السرد الليبي، إذ تبني عالماً تخيلياً مستقلاً يصعب ربطه مباشرة بالواقع الاجتماعي، مع حضور لافت للصخب الحوارى القائم على تقابل الأصوات. ويتجسد هذا الصراع أساساً بين شخصيتي خليل الملاح والشيخ الورد، اللذين يعبران عن رؤية متمردة على السلطة السياسية، التي تفشل بدورها في إخضاع هذا الصوت، خاصة مع تحوّل الورد إلى مصدر القوة عبر سيطرته على الماء.

في المقابل، تمثل شخصية الشيخ العربي سلطة دينية مرجعية، تحظى بقبول واسع، وتؤدي دوراً توازانياً بين أطراف الصراع داخل الرواية.

وفي رواية (ليالي نجمة)¹⁰ للكاتب خليفة حسين مصطفى تتجلى وبوضوح التعددية الصوتية والتنوع الأيديولوجي، ولكن ببساطة تتناسب مع واقعية المجتمع الليبي في خمسينيات القرن الماضي، عبر تنوع الحرف ومواقع الشخصيات في ثنايا المجتمع آنذاك، يمكن إدراك ذلك من خلال المستويات الصوتية وأنواع الخطاب الذي تؤديه الشخصيات في المقاطع الحوارية المنتشرة على طول جسد هذه الرواية، وسنجد محاولة من الكاتب لتأسيس هذا الاختلاف عبر بناء إطار ذهني لكل شخصية من شخصيات هذه الرواية، ابتداء من الاسم الذي اختير لكل شخصية بما يتناسب مع الإطار الذهني لها، و دورها في مسار السرد وموقعها في الأحداث.

في قوله: بعد أن أنتهى الشيخ عبد الرحمن الغاوي من تأدية صلاة الفجر ظل قابعا في مكانه إلى أن توارى آخر المصلين عن عينيه في السقيفة الطويلة (...). مد يده إلى كتاب القرآن فالتقطه من فوق الحصيرة واستأنف قراءته الخاشعة في سورة النساء. لا يدري كم مر من الوقت عندما أفاق من خدر النعاس والتلاوة الصامتة على صوت قيقاب خشبي يهز الصمت الراكد في السقيفة وينتشل من سباته، أنصت باهتمام وقد خيل إليه أن القادم امرأة¹¹.

فعلا كان القادم امرأة وهي حورية، وهذا اللقاء الأول بين الغاوي وحورية كان هو بداية التحول الحقيقي لشخصية عبد الرحمن الغاوي، من شخصية إمام المسجد الزاهد المتعبد إلى شخصية العاشق المتميم، لتأخذه حورية إلى طريق آخر مغاير تماماً لما نشأ عليه في بداية حياته، ليتحول من إمام مسجد يصدق بالقرآن والحق، إلى صاحب مقهى يركض بين زبائنه، ليوفر لهم ما يطلبون.

يتلاءم اسم "حورية" انسجاماً واضحاً مع ملامح شخصيتها داخل الرواية، إذ تجسد صورة الفتاة الجميلة التي تمكنت من إغواء عبد الرحمن الغاوي، فحلت محل الحور العين التي كان يتطلع إليها في سياق تدينه، لتصبح بذلك تمثيلاً دنيوياً لرغباته المؤجلة.

ومن جهة أخرى، تقوم رواية ليالي نجمة على مسارين سرديين متداخلين؛ يتمثل الأول في سرد الأحداث ذات الطابع الاجتماعي، التي تعكس تفاصيل الحياة اليومية للشخصيات، في حين يبرز المسار الثاني بوصفه بعداً سياسياً يتخلل السرد بين الحين والآخر، مستحضراً ملامح المرحلة التاريخية التي تدور فيها الأحداث. ويعتمد الكاتب من خلال هذا المسار إلى تجسيد الواقع السياسي الذي عرفه المجتمع الليبي آنذاك، مستنداً إلى مؤشرات زمنية وتاريخية تسهم في تأطير النص، كما تكشف – ولو بشكل غير مباشر – عن

⁹ سليم بركان: النسق الأيديولوجي وبنية الخطاب الروائي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر: 2004، ص60.

¹⁰ خليفة حسين مصطفى: رواية ليالي نجمة: ط1: 1999، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ص19-110.

¹¹ سالم الهنداوي: رواية الطاحونة، ط1، 2008، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، ص7.

التوجهات الفكرية والسياسية للشخصيات الروائية، حتى وإن بدت هذه الانتماءات في بعض الأحيان سطحية.

المبحث الثاني: تمثيلات مقاومة المرأة للسلطة وتفكيك الأنساق الثقافية في الرواية الليبية

قد برزت السلطة السياسية والاجتماعية باعتبارها هاجساً أساسياً في المتن الروائي، حيث صوّرت الرواية علاقة المثقف والإنسان العادي بالاستبداد، وما ينتج عنها من اغتراب وخيبات، مستعينة بالرمز والقناع والأسطورة لتجاوز المباشرة والرقابة، كما احتلت قضايا المرأة مساحة بارزة، إذ كشفت الرواية عن واقع القهر المركب الذي تعانيه المرأة الليبية بين سطوة المجتمع الذكوري وضغوط السلطة السياسية، معبرة عن وعي متنامٍ بالذات النسوية وسعيها إلى التحرر والانعتاق من أشكال التهميش كافة. وتعد المرأة في هذا السياق كائناً ثقافياً يعبر عن أنساق ثقافية هامشية داخل مجتمع ذي بنية ذكورية تراتبية، لا يمنح الهامش مكانته المستحقة. ومن ثم، فإن الخطاب النسوي في الرواية الليبية لا يُفهم بوصفه مجرد تعبير عن معاناة فردية، بل باعتباره ممارسة ثقافية مقاومة تسعى إلى تفكيك الأنساق المهيمنة، وعلى رأسها النسق الذكوري الذي يفرض سلطته من خلال منظومة العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية. وبناءً على ذلك، تخوض المرأة في المتن الروائي صراعاً متعدد المستويات ضد سلط متداخلة، تنصدها السلطة الذكورية المتمثلة في الأب والزوج والمجتمع، إلى جانب السلطة السياسية التي كثيراً ما تتبنى خطاباً ظاهرياً داعماً لحقوق المرأة، في حين تمارس أشكالاً مختلفة من الإقصاء والتهميش. ومن هنا، يمكن النظر إلى الكتابة الروائية النسوية باعتبارها شكلاً من أشكال المقاومة الثقافية، التي تهدف إلى إعادة بناء صورة المرأة، واستعادة صوتها داخل الفضاء السردي.

يتضح من خلال رواية قوارير خاوية أن المرأة الليبية تخوض مواجهة متعددة الأبعاد ضد مختلف أشكال السلطة، حيث لا تقتصر هذه المواجهة على السلطة السياسية فحسب، بل تمتد لتشمل السلطة الذكورية وسلطة العادات والتقاليد. وقد جسدت الساردة هذا الصراع عبر شخصيات نسائية بدت أكثر ميلاً إلى التحرر، وأكثر وعياً بضرورة الانعتاق من القيود الاجتماعية والثقافية المفروضة عليها¹². ومن نماذج الروايات التي عالجت هذا التخلف الاجتماعي رواية (قوارير خاوية) للروائية غالية الذرعاني¹³، ورواية (ماءان) للروائي عبد الحفيظ العابد¹⁴، حيث تعالج الروايتان أزمة المرأة الليبية وواقعها المعقد والمتشابك مع أزمت أخرى، أبرزها التخلف الاجتماعي، وسطوة العادات والتقاليد، والقهر السياسي الذي تمارسه السلطة السياسية، في وجه المرأة، رغم ماتدعيه هذه السلطة من حماية حقوق المرأة.

وتبدي المرأة في رواية (قوارير خاوية) موقفاً عدائياً من تزييف الوعي وتزييف التاريخ، خاصة فيما يتعلق بواقع المرأة الليبية وواقع ليبيا، فنجد بعض الشخصيات تقوم بتقزيم بعض الرموز التاريخية في الذاكرة الجمعية الليبية، ومثال ذلك إظهار (مرزوقة) كرهها للشيخ عمر المختار¹⁵، باعتباره شخصية رمزية ومؤثرة في التاريخ الليبي الحديث، فقد "كانت مرزوقة وأمثالها ينقمون على عمر المختار، ويدعون عليه بأقسى العبارات، سراً وجهاً بالخلود في جهنم. فهو بحسب رأيهم من جرّ الليبيين بعناده، وتمسكه بمقاومة غبية إلى ذاك المصير الأسود."¹⁶

¹² غالية الذرعاني، قوارير خاوية، دار الكون، ليبيا- مصر، ط(2)، 2002، ص 10
¹³ - غالية يونس الذرعاني كاتبة وروائية ليبية وأكاديمية ولدت سنة 1965، متحصلة على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي والدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بدأت الكتابة سنة 1986، الحائزة على جائزة الطيب صالح عام 2020 عن فئة الرواية، وتحصلت على جائزة الطيوب التشجيعية عام 2021.

¹⁴ - رواني وشاعر ليبي، يؤمن أن الطفولة هي البوابة السرية للمخيلة، بدأ كشاعر، وتحول إلى الرواية، فصدر له: "ماءان"، و"إسلامية، لكن لم يتخل عن كتابة الشعر في أعماله الروائية يشغله الإنسان بكل تناقضاته وخساراته، حصل على الماجستير في الأدب العربي، يكتب الشعر منذ منتصف التسعينات، وصدر له بعض الدواوين، شارك في العديد من المهرجانات الدولية والمحلية، وشارك بأوراق نقدية في مؤتمرات داخل ليبيا وخارجها، وحصل على المركز الأول في النقد في المسابقة التي نظمتها المؤسسة العامة للثقافة بليبيا

¹⁵ - ينظر محمد الطيب بن إدريس الأشهب عمر المختار. مكتبة القاهرة القاهرة مصر.: 1958م ص. 26

¹⁶ - غالية الذرعاني، قوارير خاوية، دار الكون، ليبيا- مصر، ط(2)، 2002، ص 10

من جهة أخرى، تتبنى المرأة في الرواية موقفًا نقديًا واضحًا تجاه تزييف الوعي والتاريخ، لا سيما فيما يتعلق بتمثيلها داخل الذاكرة الجمعية، حيث تعتمد بعض الشخصيات النسائية على مسألة الرموز التاريخية وإعادة قراءتها من منظور مغاير، يعكس رفضها للسرديات المهيمنة. وتبرز شخصية مرزوقة بوصفها صوتًا سرديًا معارضًا ضمن خطاب يقوم على الحوارية وتعدد الأصوات، إذ تسعى إلى تفكيك الصور النمطية السائدة، معبرة عن وعي نقدي يهدف إلى زعزعة الثوابت وإعادة تشكيل الذاكرة وفق رؤية جديدة. ويرتبط هذا التوجه برغبة عميقة لدى الشخصيات النسائية في التحرر من ماضٍ مثقل بالعنف والتمييز، والسعي نحو بناء وعي يتجاوز البنى الثقافية التقليدية. ومن ثم، تعكس الرواية صراعًا بين ماضٍ تهيمن عليه السلطة الذكورية والتراتبية الاجتماعية، وحاضرٍ تتطلع فيه المرأة إلى إعادة بناء ذاتها واستعادة صوتها. وعليه، فإن القطيعة مع الماضي لا تُفهم بوصفها رد فعل انفعالي، بل تُعد استراتيجية سردية واعية تهدف إلى تأسيس أفق جديد قائم على الحرية والوعي، وتفكيك الأنساق الثقافية المترسخة.

المبحث الثالث: جدلية الزمن الدائري والصحراء في الرواية الليبية:

يشكل المكان، ولا سيما الصحراء الليبية، عنصرًا محوريًا في تشكيل سؤال الرواية الليبية. فالصحراء ليست مجرد فضاء جغرافي، بل رمز دلالي عميق يعكس العزلة، والامتداد، والقسوة، وفي الوقت نفسه الحرية والصفاء، تمثل ثقافة البدو خاصية مهمة في أدب الصحراء، فالبدو هم سكان الصحراء الخبيرون بأسرارها المتجذرون في أرضها، المتصالحون مع طبيعتها القاسية ومظاهرها الجافة الغليظة، وهم الذين تحدوا الصعاب ليقهروا الصحراء ويتعايشون معها ويألفونها كما تألفها الوحوش. وهم يحملون في أعماقهم تراثًا غنيًا، يحكي معاناتهم وآمالهم، ظلوا يتناقلونه شفاهياً منذ أحقاب طويلة بسبب الترحال الدائم المفروض عليهم، وعدم الاستقرار الذي حرّمهم من ألفة المكان، لكنه منحهم الإحساس بالحرية.

"فعالم الصحراء غالباً ما يتم النظر إليه بصفته واقعاً أيكولوجياً فقط تُنزع عنه كل المفردات المتعلقة بالثقافة والتاريخ وعلم الأجناس، وتتفي عنه كل ارتباط بالجماعة البشرية التي تعيش فيه وهو خطأ لا ينبغي الوقوع فيه، بل ينبغي النظر إلى الصحراء كفضاء غزير متخم بالدلالات والرموز، وكعالم مكثف يبني رؤى فكرية لافكّك منها، ويخلق نصّه الروائي المتخم بالدلالات." (17)

كما تتميز حياتهم اليومية بنظام فريد، ومنظومة من القيم التي استهوت الشعراء والأدباء كالبساطة والكرم، وإغاثة الملهوف، والشجاعة والتكافل، وتمجيد القوة، والشرف، ونقاء النسب، وتقديس الأولياء والصالحين، وكبار السن. وهذه الخصال الحميدة التي تميز أهل الصحراء إنما أملت على طبيعتها الصحراء ذاتها، وطبعتهم عليها ليتمكنوا من العيش فيها.

وقد استطاع عدد من الروائيين توظيف الصحراء بوصفها فضاءً وجوديًا تتصارع فيه الذات مع الطبيعة، ومع الأسئلة الكبرى للحياة والموت والمعنى. هذا الحضور المكثف للمكان منح الرواية الليبية خصوصيتها، وميّزها عن كثير من التجارب الروائية العربية التي ارتبطت بالمدينة أكثر من ارتباطها بالفضاءات المفتوحة¹⁸.

لقد شكّل المكان الصحراوي أحد أهم ملامح خصوصية الرواية الليبية، حيث تحوّل من إطار جغرافي إلى فضاء دلالي وثقافي يعكس علاقة الإنسان بالطبيعة، وبالحرية، وبالقيم المتجذرة في الذاكرة الجمعية. وقد أسهم توظيف الصحراء وثقافة البدو في إضفاء بعد وجودي وفلسفي على النص الروائي، مما ميّز التجربة الليبية عن كثير من التجارب الروائية العربية ذات الطابع المدني.

وعليه، يمكن القول إن الرواية الليبية قد أسهمت في إثراء السرد العربي من خلال بناء عالم روائي متفرد، يستند إلى خصوصية المكان والتاريخ، وينحاز إلى الإنسان المهمّش، ويجعل من الأدب أداةً لطرح الأسئلة الكبرى حول الوجود والهوية والحرية. وهي بذلك تظل تجربة مفتوحة على التطور والتجديد، وقادرة على مواكبة التحولات المستقبلية، ما دامت مشغولة بالإنسان وأسئلته في واقع دائم التغيّر.

17 - دار الحياة. الصحراء كما تجلت في الرواية العربية الحديثة.

http://www.alwaraq.net/Core/news/news_indetail?id=982

18 عبد الله الغزال، السرد والهوية في الرواية الليبية، دار الكتب الوطنية، بنغازي: ص132.

إن المتمعن في كتابة "إبراهيم الكوني" الروائية يجد أن الصحراء تشكل الموضوع الرئيسي فيها فهو يعتمد على تراثها اعتمادا مطلقا جعل الرواية عنده تعاش، والصحراء تروى بكل مظاهرها حتى المتناقضة منها، وقد انعكس الفضاء الصحراوي المثير تارة، والغامض تارة أخرى، على طبيعة الحدث ذي الطابع التكراري بشكل عام، وعلى تشكل الزمن بصفة خاصة حيث أخذ هو الآخر صفة الدائرية، وكلاهما ينبع من خصوصية المكان الصحراوي « حيث تنطلق الأحداث و الشخصيات كي تعود إليه في زمن دائري، يتكون من مستويات زمنية عدة يتقاطع عبرها نظام الحياة البدوي القائم على الترحال الدائم، ووقائع الصراع القبلي و أحداث الغزو الخارجي » (11).

ويصبح الزمن الدائري في هذا العالم جزءا لا يتجزأ من رؤية الكوني، حيث يحاول في مشروعه الروائي الضخم معالجة جدل الحياة وتناقضاتها المستمرة من خلال هذه الدائرية المنعكسة والمؤثرة تأثيرا كبيرا جدا على البنية السردية لأعماله.

لقد طعم الكوني هذه الدائرية المرتحلة دوما والحاملة هم الإنسان اليومي بتجارب مستقاة من صلب الواقع الذي تحياه شخصياته الروائية، فتجربة السحرة و الكهان ورياح القبلي الحارقة، والشمس الحارة، والقمر المنير، والودان المقدس، وأزهار الرتم الخالدة، وشعائر وطقوس الولادة، و ميلاد المهري، و مواسم الحل و الترحال، و قوافل التجار العائدة من تمبكتو و كانو، وغيرها، كلها تجارب تؤكد على وجود جدل عنيف تعيشه الشخصية الكونية، طرفاه الولادة و الموت، لأن الزمن عند الكوني كما تطلع عليه رواياته يحاول أن يتقدم بالاتكاء على التجارب السابقة لكنه يفشل و يصير على العودة مرة أخرى إلى نقطة الانطلاق، حيث تكون الحياة دوما قابلة للتجدد و الانبعاث.

و تعيش هذه المفارقة كل الشخصيات دون استثناء، ولعل السؤال الذي نود طرحه في هذا المقام هو لماذا قوض الزمن الكوني الحياة و حاصر بها بهذا الشكل؟ هل يرجع الأمر إلى طبيعة الزمن الدائري، حيث أن البداية فيه تكون نهاية له؟ أم أن طغيانه على الحاضر الروائي جعل من الشخصية تستسلم و تدعن لمصيرها بإرادتها، فتموت موتة العنقاء حيث من رمادها تولد عنقاء أخرى و هكذا؟ وهل أن سطوة الزمن الدائري تؤكد على أن الشخصية عنده تقوم بدور أم هي مجرد وظيفة لا تخرج عن وظيفتي الميلاد و الموت؟

في الرواية الكونية يجري الزمان كما لم يجر أبدا، حيث تمر الأيام و الأسابيع و الشهور، و الليل و النهار متعاقبان دوما، و الشمس و القمر قبتان من قبب السماء، تندفع تحتها الحساوات في ليالي اكتمال القمر بدرا، و يرافقه الإمزاد بصوته الشجي الذي لم يكف يوما عن عزف مرثية الوجود، و ترقص المهاري على أنغام الصبايا فتنتفتح الأعشاب بعد غياب طويل فتظهر حينئذ الطلحة و يزهر الرتم المقدس فيتجدد الحلم، و لا يفوت الشباب الفرصة لاختيار القرينات في ليالي السمر، و هكذا في تكرار متواصل لا يكف الكون الصحراوي عن التوالد، طالما أن كل مظهر من المظاهر السابقة هو نقطة بدء لحياة جديدة لا تلبث أن تنهي حلقاتها الواحدة تلو الأخرى، لأن النذير القديم يقول أنها ستعود و إن هددتها رياح القبلي القاسية أو جرفت السيول العارمة، أو انقطع الرزق من السماء، فلا بد أن تأتي العلامة، (بعدها جرى الزمان كما جرى من قبل، و كما سيجري من بعد و تدفقت مياه و فيرة في قيعان الوديان، و قالت الشاعرات أشعارا شجية و عرفت القبيلة الأوبئة أيضا، فمات معمرهم، و ولد أبناء كثيرون، و قرأ العرافون النبوءات في عظام القرابين، فتململت القبيلة و تهيات لتبديل مكان أقامت فيه أكثر مما ينبغي، لأن الحكماء رأوا في الاستقرار خيانة للعهد القديم، و قالوا أن الرجال إذا أقاموا في المكان طويلا صاروا عبيدا للمكان مثل أهل الواحات) (12)

والذي لا شك فيه، أن هذا التصور، إنما نتج عن الأهمية التي اكتسها الزمن في حياة الإنسان الصحراوي، فتواتره على شكل فترات منتظمة قد تثبت على حال واحد طيلة أيام السنة، ولد لديه فكرة التناغم المتكرر التي شكلت جوهرها أساسيا في الروايات الكونية، بحيث عكست مفهومه للزمن الذي أتى دائريا منسلخا من الواقع الفيزيائي الذي تتميز به الصحراء، وخارجا من رحم الأسطورة.

ولهذا ارتبطت فكرة دائرية الزمن الكوني بالقداسة النابعة من الطبيعة؛ المسؤول الأول عن التصورات و الأحاسيس والمشاعر والاعتقادات والسلوكات، وبالأخص تلك التي سنها لهم الناموس و حفظها لهم الكتاب الضائع إنهي، فتتواشج الطبيعة والناموس الذي يمثله العرف الاجتماعي في التحام أبدي بحيث لا

نصبح نفرق بين أي من القانونين يسود ، وأيهما المنتج الفعلي لهذا العالم السحري الغامض ، الذي تستجيب فيه قبائل الصحراء لهذه الدائرية التي يغلف فيها الزمن الحياة، ويطبعها بطابعه الخاص ، فلا تهتم بعد ذلك كائنات الصحراء إن هي تنفست صعد القلبي، أو ارتوت من أنفاس الشمال الندية أو حتى توشحت بنسمات الصباح العابرة التي ستترك لفحات الشمس تعبر و تمر لتحرق مرة و مرات و إلى ما لانهاية ، من دون أن يكثر الخلق بقسوة الهبة الإلهية «مع حلول العشيّة و ترحل القرص الملهب عن العرش في قلب السماء مودعا بالعودة في الغد لإتمام مهمته في إحراق ما لم يستطع إحراقه اليوم ، يحشو أسوف ذراعيه في رمل الوادي ، و يبدأ في التيمم لإنجاز صلاة العصر » (13)

لم تشل دائرية الزمن حركة الشخصيات، فهي تعيش و تأكل و تسافر وتعشق وتفعل وتتفعل وتتعبد ، لكنها محكومة بهذه الدائرية، متواصلة معها، متماهية فيها، و يكشف هذا التماهي عن خصوصية الطبيعة الصحراوية، المنتج الفعلي لكل هذه الأحاسيس ، " و قد يكون إحساسنا بالعودة الدورية التي توحد البداية و النهاية آتيا من الطبيعة – الأيام و الفصول و السنين التي تهئ نموذجاً للتصورات عن موت الإنسان و عودته إلى الحياة " (14)

و كدليل على صحة هذا التصور أقدم هذه الأمثلة ، ففي رواية "واو الصغرى قتل الساحر العراف بمديته القديمة «ف» قعقع الرعد بعنف و احترق الأفق بالبروق ، فالتفت الناس ليروا أن جحافل غيم قاتم قد بدأت تغزو الصحراء من جهة الشمال » (15).

ينجح الكوني، ووفقاً للقانون السابق، في إيهام القارئ بأن موت العراف كان السبب الرئيس لقعة الرعد، فتكون علة هذا الأخير هي فجعة القبيلة في العراف، ابن السماء، وذلك بعد جفاف طويل حل بمضاربها، وقد كان هذا الوضع كافياً للاقتناع بوجود علاقة بين دائرية الزمن (موت العراف / أمطار / جفاف ، موت ؟) / أمطار / جفاف) و موت العراف.

المبحث الثالث: الأسس النفسية والجمالية للإبداع وتمثيلات الأنساق الثقافية في الرواية الليبية
إن المبدعين "غالباً ما يكون لديهم فيض من الأفكار والمقترحات" (19) يتضح من خلال مقاطع رواية التابوت كثافة لغوية لافتة، حيث تتزاحم الألفاظ والتعبيرات الدالة على المواقف والأحداث والأشياء، في سياق يكشف عن تدفق داخلي للأفكار والصور. إذ تنبثق رؤية جديدة وغريبة من أعماق الذاكرة، حيث تترقد طاقات كامنة في تجاوب العقل، تظل ساكنة إلى أن يوقظها وقع التجربة المؤلمة. عندئذ تنفث هذه الصور من قيودها، مزيجة حجب الألفة والاعتقاد، لتندفق في الوعي في شكل تأملات وأحكام متعددة، تعكس حالة من الاضطراب والتوتر الداخلي، وتكشف عن عمق التجربة النفسية التي يعيشها السارد. (20).
يُشيد الروائي عبد الله الغزال في روايته عالماً سردياً رحباً، يعكس رؤية معرفية متكاملة، إذ يقدم تصويراً للحياة قائماً على تداخل مجموعة من الحقول المعرفية، مثل الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس. ويعود الفضل في توحيد هذه العناصر المتباينة وصهرها في قالب فني متماسك إلى طبيعة الرواية بوصفها جنساً أدبياً يتسم بمرونة شكلية، تتيح للكاتب حرية التعبير وإعادة تشكيل هذا التنوع في بنية إبداعية منسجمة (21).

والمبدعون "يتميزون بالمرونة الفكرية، أي بالقدرة على تعبير الحالة الذهنية والأفكار بتغيير الموقف. فمن المطلوب أن يكون الشخص قادراً على تغيير حالته العقلية لكي تتناسب مع تعقد الموقف الإبداعي. والمرونة هنا تشير إلى عكس ما يسمى بالتصلب الذهني والجمود الذي يصف بعض أشكال التفكير، التي يتميز أصحابها باعتناق أفكار ثابتة محددة، يواجه بها مواقف الحياة مهما تنوعت واختلفت" (22).

19 زينب محمود شقير: الاكتشاف المبكر والرعاية المتكاملة للتفوق والموهبة والإبداع، دار الكتاب الحديث، القاهرة - مصر، 2006، 2006 (ص 282).

20 عبد الله الغزال، رواية التابوت، مصراته: الشروق للطباعة والإعلان، مصراته - ليبيا، 2003. 2003: ص 84

21 أحمد محمد محمد الشلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، دراسة في المضمون والرواية الأيدلوجية، دار ومكتبة الشعب، مصراته، ليبيا، 2003. 2003: ص 13

22 عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النفس، سلسلة عالم المعرفة - الكويت، 1985 م. 1985: ص 294

من خلال قراءة رواية التابوت يتبين أن الكاتب يتسم بمرونة فكرية واضحة، تتجلى في تنوع أساليبه الوصفية وتحولها تبعاً لتغير المواقف السردية. فهو ينتقل بسلاسة بين عوالم متعددة؛ فتارةً يستغرق في أحلامه المرتبطة بحبيته المتخيلة، وتارةً يعود إلى تفاصيل حياته اليومية داخل البيت، وتارةً أخرى يحلق في فضاءات تخيلية رحبة، مما يفضي إلى تشكيل عالم سردي قائم على التناقض، يجمع بين السكون والحركة، وبين النوم واليقظة.

ويبدو النص، في كثير من مقاطعه، وكأنه يحتضن حكايات متعددة داخل بنية روائية واحدة، إذ ينزاح القارئ أحياناً عن المسار الحكائي الرئيس بفعل التداعيات الفكرية، قبل أن يعود إليه من جديد. ويعمد الكاتب إلى تشييد مسارات سردية متفرعة تنبثق من خطر رئيس، ثم يعيد توجيهها بمهارة نحو نقطة الأصل، في حركة دائرية لافتة، تعكس انفتاح النص على احتمالات متعددة، وتكشف عن نزوع واضح نحو التحرر من القيود التقليدية للسرد.

ومن أبرز ما يشد الانتباه في الرواية ذلك الوصف الدقيق الذي يقدمه الكاتب، لا سيما في تصويره لحركات الشخصيات وسكناتها، مثل وصفه التفصيلي للجنود، بما يعكس قدرة عالية على التقاط الجزئيات الدقيقة. وفي هذا السياق، يشير سمر روي الفيصل في تقديمه للرواية إلى أن التابوت تتميز ببنية متماسكة وسرد وصفي قادر على الكشف عن العالم الداخلي للشخصية المحورية من بداية النص إلى نهايته دون خلل، مما يمنح النص طابعاً تعبيرياً جذاباً وقادراً على استقطاب القارئ وإشراكه في التجربة السردية.⁽²³⁾ فالوصف عند المبدع "ليس مجرد سرد تسجيلي لما هو قائم في الطبيعة، الوصف الفني يختلف عن الوصف العلمي من حيث أنه تسجيل لطبيعة. إنه عملية إعادة خلق للطبيعة. أي رؤيتها على طبيعتها، بطريقة خاصة وليس كما يراها به غيره من سائر خلق الله "⁽²⁴⁾.

كما أن الكاتب حاول أن يجسد هذا الوصف للطبيعة بطريقته وأسلوبه الخاص وهذا يمكن أن نطلق عليه الوصف الإبداعي أجزاء السيارة تكاد تنخلع مع كل سقطة في حفرة في الطريق، مع كل تجربة للاستكشاف تبرز في نفسه. ويرجع بيته. يتمدد على الأرض فوق فراش الإسفنج الرقيق المغلف بقماش ثوبين قديمين لأمه. تأتي له أمه بالغداء. يأكل أو لا يأكل ثم يعاود تمده "⁽²⁵⁾.

كما ينظر إلى الخلق الفني بوصفه وسيلة تعويضية عن جوانب النقص أو العوز في الحياة، إذ يتيح للفنان التعبير عن عقد نفسية كامنّة قد تعوق توازنه في الواقع. ولا يقتصر أثر هذا الإبداع على ذات المبدع فحسب، بل يمتد ليشمل المتلقي أيضاً، حيث تتقاطع التجربة الفنية مع التجارب النفسية للجمهور. فالمتلقي الذي يعيش ظروفاً نفسية مشابهة، ويعاني احتياجات وجدانية قريبة، يكون أكثر قدرة على تذوق العمل الفني والتفاعل معه، انطلاقاً من هذا الاشتراك في البنية الشعورية والتجربة الإنسانية.⁽²⁶⁾

من خلال القراءة النفسية لرواية التابوت يتضح أن الكاتب يعتمد أسلوباً سردياً يقوم على التقاطع والانزياح عن المسار الحكائي الرئيس، حيث تتخلل السرد وقفات تأملية ينفذ من خلالها إلى عوالم اللاشعور. وفي هذه اللحظات تحديداً يتجلى فعل الإبداع، إذ يستحضر الكاتب خبراته الحياتية والشخصيات المحيطة به في صور وصفية مكثفة، تعبّر عن حالات نفسية متباينة. فهو يغوص في عوالم الحزن والكآبة والقلق الدفين، ويعكس تناقضات الوجود الإنساني بين الحياة والموت، وبين الفرح والحزن، وبين التشاؤم والتفاؤل، في محاولة لتعويض عجزه عن الإفصاح المباشر عن هذه الانفعالات في الواقع، فيلجأ إلى التعبير عنها عبر الكتابة الإبداعية.

ومن هنا، يتبدى الأساس النفسي للإبداع الفني في الرواية، حيث تتشكل لحظات الإبداع من تدفق شعوري متصاعد، يعبر فيه الكاتب عن وجدانه سطرّاً سطراً، صعوداً وهبوطاً داخل تضاريس النص، كاشفاً عن أعماقه الداخلية، ومُسهماً في تشكيل البعد الجمالي للعمل. فالجمال الفني هنا لا ينفصل عن التجربة النفسية، بل ينبثق منها بوصفها مصدراً أساسياً للتخييل والإبداع.

²³ عبد الله علي الغزال: 2005

²⁴ مصري عبد الحميد حنوره، علم نفس الأدب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998. 1998: ص 79

²⁵ عبد الله الغزال، الخوف أبقاني حياً، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، 2008. 2003: ص 230

²⁶ سامي الدروبي، علم النفس والأدب، دار المعارف، القاهرة - مصر، 1981. 1981: ص 234

كما يقودنا الكاتب إلى عوالم أعمق في اللاشعور، حيث تتداعى الصور في ذهن في حركة مستمرة، تظهر وتختفي كما الأطياف، لتفسح المجال لصور أخرى متلاحقة، في مشهد يعكس انفتاح الذاكرة على مستويات متعددة من التجربة. وتتشابك هذه الصور مع أصوات وأحداث تستحضر الماضي بكل ما يحمله من قلق ومعاناة، فيفتح أمام السارد فضاء واسع من الذكريات، تتوالد فيه عوالم متداخلة، ينتبها بوعي حذر ومندهدش. ومن خلال هذا التداعي، تتشكل رؤية شاملة للوجود، تجمع بين ما اندثر في الذاكرة وما يزال حياً في الواقع، في إطار تجربة إنسانية غنية، تتداخل فيها الأزمنة وتتقاطع فيها مستويات الوعي. " (27).

الخاتمة:

إن الرواية الليبية تشكّل فضاءً سردياً ثرياً تتشابك فيه الأبعاد الثقافية والنفسية والجمالية، مما يجعلها قادرة على استيعاب تحولات المجتمع الليبي وتصوير تناقضاته العميقة، إذ لم تعد الرواية مجرد حكاية فنية، بل تحولت إلى بنية دلالية معقدة تستتر خلفها أنساق ثقافية متعددة، تظهر بأشكال مختلفة، من أبرزها النسق الاجتماعي والسياسي والذكوري.

كذلك تشير النتائج إلى أن الأنساق الثقافية لا ترد في الرواية الليبية بصورة مباشرة، بل تتسلل عبر تقنيات سردية وجمالية كالوصف والتداعي والاسترجاع، مما يمنح النص بُعداً إيحائياً يتيح تعدد القراءات. وفي هذا السياق، تبرز الرواية كأداة قادرة على تفكيك هذه الأنساق والكشف عن تناقضاتها، لا سيما في ما يتعلق بقضايا السلطة والمرأة والهوية.

من ناحية أخرى، تؤكد الدراسة أهمية البعد النفسي في تشكيل الخطاب الروائي، حيث يحتل اللاشعور موقعاً محورياً في إنتاج الصور السردية، عبر تدفق الذكريات والتداعيات التي تعكس حالات القلق والتوتر والصراع الداخلي لدى الشخصيات. وقد تجلّى ذلك في بعض النماذج المدروسة، حيث تحولت الكتابة إلى وسيلة للتعبير عن المكبوت النفسي، وإلى مساحة للتنفيس عن الأزمان الوجودية.

إن الرواية الليبية نجحت في ترسيخ مكانتها ضمن السرد العربي، بقدرتها على المزاجية بين العمق الثقافي والثراء النفسي والجمال الفني. وهذا ما يجعلها مجالاً خصباً للدراسات النقدية الحديثة، لا سيما تلك التي تعتمد على الأنساق الثقافية مدخلاً لتحليل النصوص.

وانطلاقاً من هذه النتائج، يوصي البحث بتوسيع الدراسات النقدية المتعلقة بالرواية الليبية، والانفتاح على مناهج تحليلية متعددة، بغية كشف المزيد من الأبعاد المختبئة في هذا الحقل السردية، والإسهام في تعميق فهمنا للأدب العربي المعاصر.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

قائمة المراجع:

- [1] الأشهب، م. ا. (1958). *عمر المختار*. مكتبة القاهرة.
- [2] إبراهيم، ع. (1985). *الإنسان وعلم النفس*. سلسلة عالم المعرفة.
- [3] بحراوي، ح. (د.ت) *بنية الشكل الروائي* (ط. 1). المركز الثقافي العربي.
- [4] بن جمعة، ب. (1999). *اتجاهات الرواية في المغرب العربي* (ط. 1). المغاربية للطباعة والنشر.
- [5] بن عياد، م. (2018). *مسائل تأصيلية في الأدب العربي القديم: دراسات في وسائط البيان والتواصل* (ط. 1). مكتبة علاء الدين.
- [6] بوهروس، ع. (د.ت) *الرواية الليبية: النشأة والتطور*. دار الفرجاني.
- [7] الجبوري، ك. س. (2003). *معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م*. دار الكتب العلمية.
- [8] الذرعاني، غ. (2002). *قوارير خاوية* (ط. 2). دار الكون.
- [9] الدروبي، س. (1981). *علم النفس والأدب*. دار المعارف.

- [10] شقير، ز. م. (2006). *الاكتشاف المبكر والرعاية المتكاملة للتفوق والموهبة والإبداع*. دار الكتاب الحديث.
- [11] الشيلابي، أ. م. (2003). *القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية: دراسة في المضمون والرواية الأيدلوجية*. دار ومكتبة الشعب.
- [12] الغزال، ع. (2003). *رواية التابوت*. الشروق للطباعة والإعلان.
- [13] الغزال، ع. (2008). *الخوف أبقاني حياً*. مؤسسة الانتشار العربي.
- [14] الفيتوري، أ. (د.ت). *المكان في الرواية الليبية*. مجلة *الفصول*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- [15] كونديرا، م. (1999). *فن الرواية* (أ. منصور، مترجم). المؤسسة العربية للنشر.
- [16] مصطفى، خ. ح. (1999). *ليالي نجمة* (ط. 1). دار الجماهيرية للنشر والتوزيع.
- [17] الهنداوي، س. (2008). *الطاحونة* (ط. 1). مكتبة مدبولي.
- [18] هنورة، م. ع. (1998). *علم نفس الأدب*. دار غريب للطباعة والنشر.
- [19] يقطين، س. (د.ت). *إنفتاح النص الروائي: النص والسياق* (ط. 3). المركز الثقافي العربي.
- [20] بركان، س. (2004). *النسق الأيديولوجي وبنية الخطاب الروائي* (رسالة ماجستير، جامعة الجزائر).

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of CJHES and/or the editor(s). CJHES and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.